واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي او شرعي ولا يخلو اذا
كان اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا فاين الاعراب والتنوين
وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد له من موقع في تاليف الكلام
لانك اذا جعلته مقسما به وجب ان كان جنسا ان تجره وتنونه ويكون
القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما ان تصرفه
وتنجره للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت اما ان يراد نون من
النينان ويجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور او
ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك. قال شهاب الدين وهذا الذي اورده ابو
القاسم من محاسن علم الاعراب وقل من يتقنه. وقال ابن الخطيب بعد
ذكر القول بانه نون اخر اسم الرحمن وهذا ضعيف لان تجويزه يفتح باب
ترهات الباطنية بل الحق هنا انه اسم للسورة او يكون الغرض منه
التحدي وساير الوجوه المذكورة في اول سورة البقرة

[فصل]

قرا العامة نون ساكنة النون لنظايره وادغم ابن عامر والكسائي وابو
بكر عن عاصم بلا خلاف وورش بخلاف عنه النون في الواو واظهرها
الباقون قال الفراء واظهارها اعجب الي لانها هجاء والهجا كالموقوف عليه
وان اتصل ونقل عن مراد عنهم الغنة وعدمها. وقرا ابن عباس والحسن
وابو السماك وابن ابي اسحاق بكسر النون وسعيد بن جبير وعيسى
بخلاف عنه بفتحها فالاول على التقا الساكنين ولا يجوز ان يكون مجرورا
على القسم حذف حرف الجر وبقي عمله كقولهم الله لافعلن لوجهين احدهما
انه مختص بالجلالة المعظمة نادر فيما عداها. والثاني انه كان ينبغي
ان ينون ولا يحسن ان يقال هو ممنوع الصرف اعتبارا بتانيث السورة
لانه كان ينبغي ان لا يظهر فيه الجر بالكسر البتة. واما الفتح فيحتمل ثلاثة اوجه
احدها ان يكون بنا واوثر على الاصل للخفة كاين وكيف. الثاني ان يكون
مجرورا بحرف القسم المقدر على لغة ضعيفة وقد تقدم ذلك في قراءة فالحق
والحق بجر الحق ومنعت الصرف اعتبارا بالسورة. والثالث ان يكون
منصوبا بفعل محذوف اي اقروا نون ثم ابتدا اقسما بقوله والقلم
او يكون منصوبا بعد حذف حرف القسم كقوله فذاك امانة الله الثريد
ومنع الصرف لما تقدم وهذا احسن لعطف القلم على محله

[قوله] وما يسطرون ما موصولة اسمية او حرفية اي والذي يسطرون
من الكتب وهم الكتاب والحفظة من الملايكة وسطرهم والضمير عايد
على من يسطر لدلالة السياق عليه ولذكر الالة المكتنفة بها. وقال
الزمخشري يجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون
لهم يعني فيصير كقوله او كظلمات في بحر لجي يغشاه تقديره او كذي ظلمات
فالضمير في يغشاه يعود على ذي المحذوف

[فصل] في القلم المقسم به
قولان. احدهما ان المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به في السما والارض
قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ولانه
ينتفع به كما ينتفع بالنطق كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فالقلم
يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتابة للغايب والحاضر. والثاني
انه القلم الذي جا في الخبر عن ابن عباس اول ما خلق الله القلم ثم قال له
اكتب قال ما اكتب قال ما كان وما هو كاين الى يوم القيمة من عمل او اجل
او رزق او اثر فجرى القلم بما هو كاين الى يوم القيمة قال ثم ختم في القلم فلم
ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة قال وهو قلم من نور طوله كما بين السما والارض
وروى مجاهد قال اول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فكتب ما

كاين

كاين الى يوم القيمة. وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه. قال القاضي
هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم الذي هو الة مخصوصة للكتابة ولا
يجوز ان يكون حيا عاقلا فيومر وينهى فان الجمع بين كونه حيوانا
مكلفا وبين كونه الة للكتابة محال بل المراد منه انه تعالى اجراه بكل
ما يكون وهو قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فانه
ليس هناك امر ولا تكليف وهو مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير
منازعة ولا مدافعة. وقيل القلم المذكور هاهنا هو العقل وانه شي هو
كالاصل لجميع المخلوقات قالوا والدليل عليه انه روي في الاخبار ان اول
ما خلق الله القلم. وفي خبر اخر اول ما خلق الله العقل فقال الجبار
ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت
ولا نقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته. وفي خبر اخر
اول ما خلق الله جوهرة فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وسخنت
فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد
الارض قالوا فهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل وتلك
الجوهرة التي هي اصل المخلوقات شي واحد والا حصل التناقض.

[فصل]

قوله وما يسطرون اي وما يكتبون يريدون الملايكة
يكتبون اعمال بني ادم قاله ابن عباس. وقيل وما يكتبون الناس
ويتفاهمون به. وقال ابن عباس معنى وما يسطرون وما يعلمون
قال ابن الخطيب وما يسطرون مع ما بعدها في تقدير المصدر فيحتمل
ان يكون المراد وسطرهم فيكون القسم واقعا بنفس الكتابة ويحتمل
ان يكون المراد به المسطور والمكتوب فان حمل القلم على كل قلم في
مخلوقات الله تعالى فكانه تعالى اقسم بكل قلم وبكل ما يكتب بكل قلم
وقيل المراد بيسطرون الحفظة والكرام ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه
فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم وسطرهم او مسطورهم
وان حمل على القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد بقوله وما يسطرون اي
وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ولفظ الجمع في قوله يسطرون ليس
المراد منه الجمع بل التعظيم ويكون المراد تلك الاشيا التي سطرت فيه
من جميع الامور الكاينة الى يوم القيمة.

[قوله] ما انت بنعمة ربك
بمجنون تم تقدم الكلام على نظيره في الطور في قوله فما انت بنعمة ربك
بكاهن الا ان الزمخشري قال هنا فان قلت بم تتعلق البا بنعمة ربك
وما محله قلت تتعلق بمجنون منفيا كما تتعلق بعاقل مثبتا كقولك
انت بنعمة ربك عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي استواهما في قولك
ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا واعمل الفعل منفيا ومثبتا اعمالا
واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت مجنون منعما عليك
بذلك ولم يمنع البا ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زايدة لتاكيد النفي
قال ابو حيان وما ذهب اليه الزمخشري من ان البا تتعلق بمجنون
وانه في موضع الحال يحتاج الى تامل وذلك انه اذا تسلط النفي على المحكوم
عليه بمعمول فذلك له طريقان احدهما ان النفي يتسلط على ذلك
المعمول فقط والاخر ان يتسلط النفي على المحكوم به فينتفي معموله لانتفايه
بيان ذلك ان تقول ما زيد قايما مسرعا فالمتبادر الى الذهن
انه منتف اسراعه دون قيامه فيكون قد قام غير مسرع والوجه الاخر
انه انتفى قيامه فانتفى اسراعه اي لا قيام فلا اسراع وهذا الذي قررناه

تم

King Saud University
Copyright © King Saud University